



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 12-06-2025

تاريخ القبول: 24-11-2025

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

عتبة العناوين عند الرافعي، كتاب وحي القلم ج 1 أنموذجا

The threshold of titles according to Al-Rafi'i, the book "Inspiration of the Pen" Part 1 as a model

بن حسين داودي

جامعة يحيى فارس - المدية (الجزائر)

hh9268177@gmail.com

الملخص:

إن أعمال مصطفى صادق الرافعي وجل خطابه القصصي يتميز بالفنية والموسوعية والمحافظة في قالب تجديدي فهو دائما يحاول أن يجعل من أثره الأدبي عنوانا للتأثير. ليتحول هذا التأثير على القارئ ونجده يتسلح دائما بوظيفية ودلائلية عناوينه في تناغم جاد مع باقي العناصر السردية في ترابعية وظيفية تؤثثها العلامة السيميائية والعلاقة المفتاحية بين النصوص والمضامين تاركة بصمة واضحة وحاضرة. بصمة دينية واجتماعية ملازمة لتأثيرات حياة الكاتب وتكوينه من خلال إنتاجه الأدبي وتأثيره على المتلقي.

الكلمات المفتاحية: العنوان - وحي القلم - الحب - الورد - الصمت - العتبة - الحياة - الأمل - الألم

ABSTRACT

Mustafa Sadiq Al-Rafi'i's works, and most of his narrative discourse, are characterized by artistry, encyclopedia, and conservatism within an innovative framework. He always strives to make his literary work a title for influence. This influence is transformed into a transformative effect on the reader. We find him always armed with the functionality and semantics of his titles, in serious harmony with the rest of the narrative elements within a functional hierarchy furnished by the semiotic sign and the key relationship between texts and content, leaving a clear and present imprint. A religious and social imprint to touch upon the influences of the writer's life and formation through his literary production and its impact on the recipient.

Keywords: Title - Inspiration of the Pen - Love - Rose - Silence - Threshold - Life - Hope - Pain.

مقدمة

إن القصة تعتبر مثار قضايا وتساؤلات عدة، ولنا أن نقول عنها أنها مساحة شاسعة أين يمكن لها أن تبني عوالمها المتغيرة والثابتة في تقاطع تام بين الروتيني المدهش وبين المتفق والمختلف بين الدين واللا ديني، أين يقف الباحث باهتا سواء على مستوى التلقي والبحث في هذا الفن الساحر والتعبير الراقي، أو على مستوى العجائبي الذي يستوعب الحياة و يغوص في أطيافها ماضيا وحاضرا ومستقبلا، ولما كان كتاب القصة أكثر التصاقا بالواقع و تظهراته الواضحة والخفية ، فقد كانوا أكثر ارتباطا بالعنوان وعتباته النصية، هذا العنصر يعتبر أيقونة الخطاب وجزء من علاماته ومدلولاته ويعتبر أحد المكونات السردية التي اشتغلت عليها القراءة المعاصرة واهتمت بدراستها وتحليلها.

ولقد حاول أكثر من دارس وباحث الاهتمام بالعنوان وبنائه ودلالاته ووظائفه، ورغم ندرة هاته الأبحاث على المستوى الفني مقارنة بالمجالات الأخرى إلا أنها تشتغل على أهمية هذا العنصر وتفسيره شكليا وتشكيليا، وليس مجرد تسمية تزين العمل وتجمله.

إن العنوان حاضر في الخطاب ليس بوصف شيء أو تسمية شخوص أو ذكر مدينة، بل في تلقيه الذي يتجاوز طبيعته المرجعية والمنتجة للدلالة، إنه في حضرة النص ينطق بما فيه فيكتسب ذلك الحضور الدلالي وتلك الجمالية الفنية في تلقيه، إنه انتقال من عالم المرجعية الواقعية إلى عالم اللغة والشعرية والجمال.

و من هذا الإحساس العميق يعتبر موضوعنا من المواضيع الجديرة بالتناول والدراسة نظرا لجذته من حيث الطرح وكذلك اعتماده على المقاربة التحليلية والتطبيقية وبعض الأدوات الإجرائية التي يطرحها النص باعتباره المعني بالدراسة.

وهذه حقيقة جسدها الأديب "مصطفى صادق الرافعي" من خلال عمله "وحي القلم" الذي هو محور دراستنا والذي تشع مجموعته القصصية بالدلالة والجمالية وتلامس الخيال والواقع ملازمة فنية موظفة عتبات العناوين توظيفا يستلهم الشعرية والجمالية في نصوص تحوي الانحياز و تغوص في الفضاءات، إذ يعد هذا الكتاب من أبرز المؤلفات الأدبية في النثر العربي الحديث، إذ يمثل نموذجا متميزا في الأدب والقصة والمقال، حيث يتنوع في موضوعاته بين الأدب والاجتماع والسياسة والدين والفكر، وقد جمع فيه صاحبه عصارة تجربته الفكرية والأدبية مزاجا بين البلاغة الكلاسيكية والدراسات المعاصرة، ومن هنا تأتي أهمية دراسته وتحليله للوقوف على خصائصه الأسلوبية والفكرية وفهم سياقه الثقافي الاجتماعي لذا جاء عنوان مقالتي "عتبة العناوين عند الرافعي كتاب وحي القلم الجزء الأول أنموذجا". والموضوع في الحقيقة أسئلة لا تنتهي، والسؤال الرئيس فيه هو : عناوين وحي القلم كثيرة ومتنوعة ومختلفة ولكن أي بناء وأي دلالة وأي وظيفة تحملها هاته العناوين وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نطرح أسئلة جزئية منها:

- أهمية العنوان في الخطاب السردية

- العنوان في المصطلح النقدي

- الرافعي والفن القصصي

- عناوين وحي القلم ترتيب ودلالة

- علاقة العناوين بالمحتوى النصي

- العنوان الرئيس والعناوين الفرعية

- وظائف العناوين النصية

- خاتمة

وبما أن كل مقارنة تحليلية يجب أن تخضع لمنهج معين يعين الدارس على اكتشاف واستنباط كنه النص وبنيته، بدا لي اختيار المنهج الوصفي التحليلي الذي رأيته مناسباً لكشف خبايا نصوص ومقالات وحي القلم وشعرية عناوينها، كما اضطررت من حين لآخر إلى مزاجته بالمنهج السيميائي لضبط أهم عوالم النصوص وعناوينها وعلاماتها.

العنوان وجهود الباحثين

إن الحديث عن العنوان وعتباته في الخطاب السردى عموماً يتناول جانباً هاماً من جوانب التلقي أولاً بحسب العناصر التي أُنشئت، وثانياً بحسب عناصر التلقي ومكونات النص وفق هذا الفضاء المنفصل كلية على الأحداث في الدراسات القديمة، عكس ما هو جديد من الإيجاءات التي أصبحت تحاول فرض خصوصياتها بواسطة الكتابة الجديدة التي تجعل المتلقي يهتم بالقراءة العميقة، حتى غدا العنوان يحمل رؤى متشابكة جعلته من العناصر الأكثر تعقيداً على مستويات عدة يصعب فيها فك علاقته ومضامينه بالنص أو حتى بالمبدع والمتلقي على السواء.

والعنوان معرض النص وبنيته المختصرة والمدخل الذي نلج منه بحثاً عن رحاب المعاني فهو "نص مختزل ومكثف ومختصر، إنه نظام دلالي رامز له بنيته الدلالية والسطحية وبنيته الدلالية العميقة. ولا يخفى على أحد وجود نسبة كبيرة بين العنوان وتسمية المولود الجديد. فالتسمية تؤسس لنشأة الطفل واندماجه في الجماعة، وكذلك الحال بالنسبة للعنوان الذي يؤسس لانتماء النص الأدبي والثقافي والإيديولوجي والحضاري." (بودريالة، 2002) فهو أول العتبات التي تستفز القارئ وتخرج به إلى آفاق المعاني وهو سر النص وبابه ودروبه الدلالية سواء دل على شخص أو على أشياء أو على أماكن، فهو يمنح القارئ وسائل تلقيه بوصفه حاكم النص وسلطانه، وتأتي العناوين الفرعية لتحمل نفس الدور إضافة إلى أدوار أخرى منها التوجيهي ومنها الاستدراجي ومنها الفني. فينشأ النص على احتمالات الدلالة التي تشي بها، وهي إحدى المرامي التي يشتغل عليها الكاتب لرسم الآفاق الجمالية التي تنتج المعنى ولا شيء غير المعنى.

وهكذا فإن العلاقة التي تربط بين العنوان والنص هي علاقة حميمة حتمية ترابطية. والاختيار فيها يجب أن يكون دقيقاً وواعياً ويحمل لمسة جمالية شعرية، كون العنوان كما قلنا يختصر العمل ويلخصه.

وإن كان الأدب العربي القديم تجاهل ما يسمى بالعنوان لأسباب منها امتداد هذا التجاهل إلى المصطلح النقدي عامة، حيث كان الارتباط لا يعدو أن يكون اسماً على مسمى. وما يثبت هذا جنس الشعر الذي لم يهتم بالعنوان في البداية

واكتفى بمطالع القصائد، وكان العنوان مرجعا نصيا يمتلك دورا ثانويا أكثر من كونه علامة نصية، ليأتي الأدب الحديث والمعاصر الذي غير كل الرؤى فيما يخص هذا المصطلح، واكتسب حلة نقدية جديدة، فجعلته أكثر تكثيفا وإيجاءاً، ويرجع كل هذا إلى تطور الخطاب القصصي والسردى والعناية بتقنياته وتلقيه، ولضبط هذه المفاهيم وغيرها وجب الاهتمام بالعنوان في المصطلحين النقيدين عند أهم رواده، سواء من الجانب الغربي أو العربي، وتطبيق جملة من الرؤى النقدية المناسبة على نصوص وقصص وحي القلم.

يعد 'جينات' من أبرز منظري السرد والنقد الأدبي، فقد حاول تقديم دراسته الجديدة حول العتبات في كتابه عتبات النص (Genette, 1987) (Seuils)، وهي كل ما يحيط بالنص. وإذا شئنا توضيحها نسميها النصوص الموازية، التي هي ليست داخله تماما وليست خارجه تماما، وإنما هي مقبلات ولوج النصوص. فالعنوان الرئيس مثلا والعناوين الفرعية وصورة الغلاف واسم المؤلف والألوان والمقدمة والتصدير والإهداء كلها عتبات خارجية، والتقديمات داخل الفصول والهوامش والتعليقات هي عتبات خارجية. كما يتكلم جينات عن وظائف العناوين ويحصرها في التعريف والوصف والتسمية، لتمييز العمل عن غيره، كي يعطي فكرة عن محتوى النص أو موضوعه. والإغراء من أجل استفزاز القارئ وتحريضه على القراءة والتأويل من أجل فتح أفق التأويل وحس القراءة. كما نجده يبرز خصائص العناوين التي من شأنها إضفاء جمالية للنصوص، ومنها الاقتصاد اللغوي -مثلا في قصر العنوان وتكثيفه- والكثافة الدلالية والتي تحملها معان رمزية أو تلميحية، وأيضا التفاعل مع النص، والذي من شأنه إنشاء علاقة تبادلية بين العنوان والنص كما يشير جينات إلى العلاقات التي تربط النص بالعنوان، ومنها أن يعكس العنوان بدقة وتكون قراءة العنوان كافية لفهم النص ومضمونه أو يتوقع القارئ المضمون من العنوان، وهناك العلاقة الرمزية والتي تحتاج إلى تأويل، وهناك العلاقة الإيحائية الاستفزازية والتي تحفز القارئ كي يبحث ويكتشف أغوار النصوص. كما نجده لا يغفل عن تموضع العنوان وتميزه على صفحة الغلاف وحتى شكله ولونه، وهذه ذات قيمة بصرية تؤثر تأثيرا بالغا في تلقي النصوص.

وهكذا نجد دراسة جينات للعنوان تؤكد أن العنوان ليس مجرد اسم للعمل الأدبي، وإنما أصبح عنصرا دلاليا وتأويليا وتواصليا ومركزيا يسهم إسهاما فعالا في تشكيل أفق انتظار القارئ أو كسره وأيضا يشارك في توضيح المعنى وبناؤه.

وأیضا يجب أن لا نغفل عن دراسة 'ميشال بوتور' حول فضاء العناوين والغلاف والهوامش، فهي أيضا من الأفضية التي يتجاهلها القارئ أو المتلقي ولا يعير لها اهتماما، وهي تعتبر أيقونة العمل السردى والمنقذ الإيديولوجي لها، بل وشكل من أشكال فضاءاتها "إن الكتاب كما نعهده اليوم هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر وعلو الصفحة" (بوتور، 1971).

كما نجد جهود النقاد العرب حول العنوان وهي تقريبا مستمدة من الدراسات الغربية، وتعتمد على دراسات جيرار جينات. كما أنها تحول الربط بين الدراسات الحديثة والدراسات التراثية التي قلنا سابقا أن لم تهتم بالعنوان كمصطلح نقدي، ولكنها كانت تحاول ربطه بالمضامين. ومن بين هاته الدراسات دراسة جميل حمداوي، وهي مقارنة العنوان في القصة القصيرة جدا. وأيضا نجد عبد الملك مرتاض في دراسته القراءة السيميولوجية للنص. وغير بعيد منهم هناك صلاح

فضل وبلاغة الخطاب وعلم النص والتي يعالج فيه العنوان من زاوية بلاغية وسياقية. كذلك سعيد يقطين وانفتاح النص الروائي، ويناقش فيها دور العنوان في خلق أفق توقعات القارئ.

ويمكن القول بأن جهود الباحثين في دراسة العنوان تطورت من التركيز على البنية اللغوية إلى الاهتمام بوظائفه التأويلية والسميائية، مما يجعل العنوان جزءا لا يتجزأ من فهم النص والولوج إلى معانيه ومضامينه، ومن ثم تذوقه وربما لا تزال الدراسات تتوسع في كشف بني هذا العنصر مع تطور المناهج والقراءات.

الرافي وسحر العناوين

إن الرافي الأديب المصري البارع الذي ولد منذ مائة وخمسة وأربعين عاما، والذي توفي بعدها بحوالي سبعة وخمسين عاما، والذي اشتهر بأسلوب لغوي رفيع دفاعا عن اللغة العربية وسحر البيان، إنه لم يتجاوز نظاما التعليم الابتدائي بسبب صممه المفاجئ، والذي لم يثنه عن عزيمته وطموحه واندفاعه في قراءة كل كتب التراث، والتي شكلت ثقافته ونبوغه، حتى شهد بها العدو قبل الصديق، فهو إمام الأدب وحجة العرب حسب رأي أرسلا، وهو واحد من القلائل الذين يستطيعون الكتابة بأسلوب عربي أصيل حسب العقاد. وهو سليل على الباطل ناصر للحق على نهج الأوائل، إنه الحكمة والبيان ممشوقان في جسد من الأدب. له كتابات عديدة جدا، ومن المميز في هاته الكتابات أنها كانت مقصودة الهدف بليغة البيان واضحة الفكرة في قالب من السحر الفني، سواء على مستوى المعاني والمضامين أو على مستوى العناوين التي نراه يهتم كثيرا بصياغاتها وكأنها وحي من الذات في كشف مكونات الذات، والتي ترمز إلى النص مختزلا فيها ونستطيع أن نوجز في عرضها. ثم لا بأس في إفراها بجدول يوضح معانيها ودلالاتها وكلماتها المفتاحية وحتى مضامينها.

من هذه العناوين: حديث القمر - أوراق الورد - المساكين - السحاب الأحمر - رسائل الأحزان - وحي القلم الذي نحن بدراسة عتبة العناوين فيه.

العنوان	الكلمات المفتاحية	مضمون العنوان	العلامة
حديث القمر	القمر-الليل-الحزن-القلب-الحب- الطبيعة-الجنون-الحلم-المرأة-السماء	عتاب الذات	التأمل والانفصال
أوراق الورد	الورد-الأوراق-الحنين-الحب-الرسائل- الفراق-الدموع-الليل-الخيال	رسائل الحب	الحب الفاشل
المساكين	المساكين-الفقراء-الحب- -المال- الطعام- الماء	العوز المحمود	رحمة الله
السحاب الأحمر	السحاب-السماء-الأرض الأحمر-الحب-الحياة	الغموض المغلق	الحب العنيف
رسائل الأحزان	الرسائل-الأحزان-الحب	العواطف الحزينة	القلوب المكشوفة

		المرأة - الرجل - الأمل -	
وحي القلم	الوحي - القلم - السماء الله - الأرض - الإنسان	الخواطر المرسله	الكتابة المقدسة

عناوين وحي القلم ترتيب ودلالة

مثّلت العناوين في كتاب وحي القلم عموماً وفي جزئه الأول خصوصاً تراتبيةً مدهشةً وتوصيفاً بديعاً. إذ نجد مؤلفه يخاطب النفس الإنسانية مزوجة بصراعات كل المعتقدات في نصوص فريدة في الثقافة العربية، وإذ توحى علاماتها بمدى اهتمام المؤلف بثقافة العتبات التي تؤسس للنص ومضمونه، ومدى تعلق قارئه ومعاني إنتاجه إلى تشابك في جزء من العنوان أو في كليته. ونحن إذ نشتغل في هذه الدراسة على تصنيف وتوصيف عناوين هذا الكتاب فإننا نحاول -ليس فقط كشف مدلولاته ووظائفه من وجهة نظر الكاتب فقط- بل أيضاً من محتوى العتبات والعناوين وإيجاءاتها المتباينة تارة والمتشابهة تارة أخرى، سواء من هذا المصنف أو من باقي التصنيفات التي تكشف عن وعي إبداعي يملكه الرافعي حتى في تأخر الحس النقدي في تلك الفترة.

والعناوين في وحي القلم تتنوع حيناً وتتفرد أحياناً أخرى في رسم العتبات الدالة على تماسك العناصر السردية في القصة من إحداث وفضاءات وشخص، وتربط كل هذا بحضور الوعي المتميز الذي يعبر عن سيميائية الخطاب في القصة. ومحاولة لتوضيح هاته العلائق التي توضح ترابط العناوين ودلالاتها ومضامينها، نستعين بهذا الجدول الذي يصف ويصنف بعض العناوين ويحدد دوافع اختيارها، وحاولنا في هذا الجدول التوضيحي تسليط الضوء على جل عناوين الجزء الأول من وحي القلم إذ أفردنا خانة للعنوان العام، ثم حاولنا توضيح أهم الإحالات فركنا على الكلمات المفتاحية بوصفها عناوين دالة على المضامين والمفاهيم لتكرارها وتعددتها وتوضيحها للمعاني المقصودة وغير المقصودة، ثم أدرجنا خانة أخرى لمضامين العناوين التي أحالت عليها الكلمات المفتاحية. وكان هذا الاختيار خاصاً بقرائنا والعلامات الدالة هاته الأخيرة التي حاولنا توضيحها في مربع آخر من الجدول لإضفاء قراءة سيميائية للعناوين ومضامينها بوصفها عتبة نصية دلالية قد تحيل عليها القراءة الفاحصة، أو تحيل عليها بنية النص، أو يرمز إليها الكاتب ذاته عن وعي أو عن غير وعي، وذلك من خلال العلائق السطحية أو العميقة التي تظهر بين ما يسمى بالعنوان الرئيس والعناوين الفرعية ومضمون الحكيم الذي تعبر عنه العناصر السردية من أفضية وأحياز وشخص، بالإضافة إلى صوت السارد وعوالمه الخفية، والتي يعمل الكاتب على ملمتها، سواء عن طريق الوقفات الوصفية أو عن طريق كسر أفق الانتظار.

العنوان	الكلمات المفتاحية	مضمون العنوان	العلامة
اليمامتان	اليمامتان-العش-البندقية-الصياد	المرأة حين تحمل حس اليمامة تكون مثناها	البراءة مقابل المكر والظلم
إجلاء العيد	العيد - الفرح - الأطفال -لثوب	ثنائية العيد والطفولة	مفارقة الحضور والغياب
المعنى السياسي في العيد	السياسة- الأمة- الحرية- الفساد	العيد والتجديد	الفرح العابر والحضاري
الربيع	الربيع-الزهور-العطر-الخضرة	إشراق الروح	الحياة والانبعاث والنقاء
عرش الورد	العرش - الورد- الأشواك- الحب	سمو الحب	السمو على عرش الوجدان والجمال
أيها البحر	البحر - الموت-السفينة - السر	الغموض والوجود	الاضطراب والعمق الداخلي للذات
في الربيع الأزرق	الربيع-الأزرق- الطيور-الطبيعة	تجربة الحياة	الحياة النفسية الداخلية
خواطر مرسله	خاطرة- النفس-الألم - الأمل	فن البوح	صراع الأمل والألم
حديث قطين	القط- السيدة - اللحم المواء-الجدار-الصمت	بين الضعف والقوة	الإنسان المظلوم
بين خروفين	الخروف - السكين-العيد-الحيلة-الثغاء-الجزار-القطيع	البسيط الساذج المخادع الذكي	الانقياد دون وعي
الطفولتان	الطفولة- اللعب-الدموع - الأم البراءة - الوعي	تأملات الحياة	البراءة والوعي
أحلام في قصر	الحلم - القصر-الجمال- المرأة-الروح- الوهم	تجلي الجمال المطلق	الواقع الحسي والجمال المتخيل
بنت الباشا	المرأة - الغرور-الفقر -العفة-الروح	غرور المرأة	الأخلاق والجوهر
ورقة ورد	الوردة- العطر-الحب المرأة-الذبول-الجمال	عطر المرأة	أثر الحب
سمو الحب	السمو- الحب- الروح العفاف-الفضيلة- الوفاء-المرأة	عفاف الروح	طهر الروح
قصة زواج وفلسفة المهر	الزواج-المهر-المرأة الدين - الفقر -الشريعة	الثلث الرمزي	التكافؤ المعنوي
زوجة إمام	الزوجة- الإمام -الفقر-الصبر-القناعة -الدعاء - الذكر-الألم	المرأة المؤمنة	السمو والعفة
قبح جميل	القبح-الجمال- القلب	المظهر الخداع	الخلق والروح

		المرأة البشعة-الروح	
الانحراف النسوي	الحضارة الفاسدة	الطائشة- الأنوثة-القلب- العقل-الندم	الطائشة
الطبقيّة	الشعب الفقير	أرملة-حكومة-الفقر الطاوور-البكاء-العدالة	أرملة حكومة
وحي الحقيقة	الحس والبصيرة	الرؤيا-السماء-الملك الميزان-الدنيا-الناس الحق-العمر-النداء	رؤيا في السماء
الآخر المجهول	الاغتراب	الأجنبية-الغربة-العيون-القلب- اللغة-الجمال-الحنين-الفقد	الأجنبية
مادية الحياة	غموض الإنسان	البحر-اللحم-الصيد السّمك-اللذة-الموت الإنسان-الموج-الفاسد	لحوم البحر
تناقض الحياة	التناقض بين الحسن والحزن	الجمال-البائس-الدمع الشوق-الصمت-الغروب- الأصداء	الجمال البائس
طريق البؤس	المسار الخطأ	اللقطاء-اليتامى-المسير- الغبار-الطريق-الصمت	عربة اللقطاء
حياة القلوب	عظمة الخالق	التكبير-السكينة-الذات الكون-الخشوع-الدمع الليل-الصدى	الله أكبر
التحول الداخلي	الامتحان القاسي	اللهب-الاحتراق-القلب-النار- الخلود-الدموع-الصمود-التحول	في اللهب ولا تحترق
معنى البحث	الشك الفطري	المشكلة-العقل-البحث-السؤال- الإجابة-الظلال-النور-الصمت	المشكلة

من خلال هذه الدراسة نكتشف مدى تلاحم هذه العناوين وترباطها، وتشارك كلها في عبارة جامعة وعنوان رئيس هو (وحي القلم). وتنوعت مواضيع هذه العناوين فهي توظف كل ما توحى به مناحي الحياة البشرية والإنسانية والنفسية.

فحاكت الطبيعة والأخلاق والثقافة والتدين، ومارست الحب والسياسة بمعاداة الفناء والبغض واستشراف القادم والمستقبل. ولولوج كل هذا وجب البحث في هذه العلاقات الدالة بين العناوين ومحتوى النصوص

عتبات العناوين ومضامين النصوص

يعد النص الأدبي بنية معقدة تتداخل فيها عناصر متعددة لإنتاج الدلالة والمعنى. ومن بين أبرز هذه العناصر نجد (العنوان) الذي يعتبر عتبة النصوص نلج من خلالها إلى أفق المعاني، وقد يكون مختزلاً في كلمة أو كلمتين ولكنه يلبس النص حلة باهية تكشف عقده وتمكن من سر أغواره، فهي تشكل الفضاء الخاص الحركي والرمزي للأحداث فهو "مرسلة لغوية تتصل في لحظة ميلادها بجبل سري يربطها بالنص لحظة الكتابة والقراءة معا، فتكون للنص بمثابة الرأس للجسد نظراً لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة وكثافة الدلالة". (شقرون، 2000)

وبينما يمثل العنوان البوابة الأولى فإنه كذلك يمثل عنصراً دلالياً بالغ الأهمية يجمع كل النقاد والدارسين على أنه ليس مجرد عنصر تزييني بل جزء لا يتجزأ من إستراتيجية النص وبنائه.

وللتوضيح أكثر لابد من وقفة متأنية عند عناوين وحي القلم والتي نراها تتسم بالرقى والدقة والحس الإبداعي:

العنوان الرئيس

العنوان في وحي القلم يبعث رسالتين، رسالة الكاتب في حمل أمانة الكلمة ورسالة القلم أداته العظيمة التي تنقل الفكر وتحوله إلى بيان، وهو عنوان يوحي بمكانة الأدب وقيمه في حياة الكاتب وتصوراته، ومن خلاله يدخل القارئ إلى عالم من البلاغة والتأملات والعاطفة العميقة في الدين والحياة والمجتمع بأسلوب يمزج بين البيان والحكمة الأدبية. وعند قراءة كلمة (وحي القلم) بمعزل عن المحتوى وبوصفها عنواناً على الغلاف الخارجي نجد أنها تترك انطباعات كثيرة من بينها الإلهام فهي منتج عن كلمتين (وحي) و (قلم) مضاف ومضاف إليه نكرة مضافة إلى معرفة، ف 'وحي' تعني الكتابة والإشارة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، كلما ألقيته إلى غيرك وكلمة 'قلم' تعني الشيء المخصص للكتابة والمعنين يكملان بعضهما بعضاً. ففي الأولى تقديس وإحياء وانقياد وفي الثانية تعليم وتوصيف وتثبيت.

والعنوان في هذا المنجز هو فضاء متلبس بالذات أين نسمع صوته في كل عنوان من عناوين الكتاب وهكذا نجد تداخل الفضاء وعتبة العناوين في هذا المنجز بوصفهما عنصرتين بنائيتين في النص الأدبي يكسران أفق القراءة وينتجان آليات التلقي. فبينما يعتني الفضاء باحتضان الشخصيات والأحداث نجد العنوان يعمل على ملء النص وإعادة تشكيل معانيه.

ومن ثم فإن دراسة هذين العنصرين من وجهة نظرنا كشفت الحس الجمالي الذي انطوت عليه البنية السردية، وأكدت أهمية القراءة المتأنية التي كشفت الرموز والعلاقات الداخلية والقوة الفنية "هذه القوة التي تجعل اللفظة المفردة معنى تاماً وتحول الجملة القصيرة إلى قصة تنتهي باللمحة السريعة إلى الكشف عن حقيقة وهي تخرجه من حكم أشياء ليحكم عليها وتدخله في حكم أشياء غيرها لتحكم عليه وهي هي التي تميز طريقه وأسلوبه" (الرافعي، 2004).

العناوين الفرعية

اعتمادا على الجدول السابق، ومن خلال قراءة مضامين القصص والمقالات، نستطيع القول أن الرافعي حتى وأنه كان سابقا للدراسة النقدية الحديثة زمنيا، إلا أنه في اختيار العنوان وكأنه كان ينهل ويأخذ منها فهذا عنوان (الياماتان) يوحى باليمامة المرأة واليمامة الطائر، والحس الرابط بينها في قلب من عرف قيمة المرأة في جسد الطائر وفي قلب فاتح القلوب قبل فتح الأمصار. وهذا عنوان العيد (واجتلائه) والذي يعد تحررا من قيود الحياة ليوم واحد، ويعيش العيد كما يعيشه الأطفال ببساطة، وفرح نابع من القلب ليعزز العلم والفن، ويحقق النصر والتقدم، وليبقى طاقة متجددة عبر الأجيال. ليأتي (الربيع) ملقيا مشهدا طبيعيا ورسالة إلهية، تذكرنا برحمة الله الذي يحيي الأرض بعد موتها ويملؤها بالفرح لكل حي، كل حسب قلبه وإحساسه. ثم يستقبلنا (عرش الورد) مقدما دعوة لاستمرار الحياة الجديدة بنفس الجمال والنقاء، تماما كما يوحى به الورد والعطر والضوء مناديا البحر (أيها البحر) مناداة للإنسان الذي يشبه السفينة في البحر، فلا يمكنه التحكم في الأمواج، ولكنه يستطيع أن يبقى ثابتا ومتوازنا، ليصل إلى بر الأمان. لينتقل بنا إلى مناجاة أخرى في قالب حيواني مرة في (حديث قطين) رسالة للإنسان، وإقرار أن الفقر أكسب صاحبه حكمة وعمقا في فهم الحياة، بينما أفقده الشبع والمعنى الحقيقي للوجود. ومرة حديث خروفين (بين خروفين)، ليتأكد أن الموت والذبح أمر واقع، وأنه من طبيعة الحياة. لينتقل بنا إلى أحلام الطفولة (الطفولتان)، وفيها رسالة للمقارنة بين طفولة الأغنياء الزائفة وطفولة الفقراء الحقيقية. والتربية والحرية الحقيقية تنشأ من التفاعل الطبيعي مع الحياة لا من الترف. لتواجهنا (أحلام الشارع) ممثلة بأحلام الأطفال الجوعى والتي تفيض عدلا أكبر من كل حقيقة. ويشبه هذا الحلم (أحلام في القصر)، وهي سقوط في غيبوبة بين الجنون والسخرية والضياع. ثم يسمو بنا (سمو الحب)، وفيه يذهب بنا مذهبا يسمو بالمرأة ويرى أن المرأة إذا كشفت وجهها للرجل وكأنها لم تلق حجابها فقط، بل ألقت ثيابها وهذا يوضحه عنوان آخر (قبح جميل)، ليهبنا روحا تحب بإحساس لا عينا تشتهي الجمال الباطل الفاني الطائش و(الطائشة) دموع وفلسفة وتربية في حفظ هوية المرأة وقيمتها في المجتمع. لأن فيها مخالفة للطبيعة والناموس مثل (استنوق الجمل)، وهو نموذج لفئة انحنت أعناقهم وتخلوا عن الرجولة والفضيلة وتحولوا إلى أرامل للحكومة تحكمهم (أرملة حكومة)، وفيه توضيح للرجال من أجل التصنيف.

ومن الأحلام ينتقل بنا إلى الرؤى في (رؤيا في السماء)، وهي هروب من واجب الرجولة والأبوة إلى العبادة الفردية ولكنها عبادة فردية، دون أثر مقارنة بالعبادة الأولى التي قد تكون سببا في النجاة يوم القيامة.

ثم يعود للحب والجمال في (الأجنبية) ليحذر من بريق الحب وطلاء الجمال، لأنه ليس كل قلب يغني يجيد أن يصون و(لحوم البحر)، ليست كلها نافعة فقد صار الشاطئ مخيفا، ومن لم يحرس قلبه بعقله جردته الحرية من إنسانيته دون أن يدري و(الجمال البائس) خمسة عناوين عنده، ظاهر وروحي، والروحي مقدس له أثر في التغيير، وأحيانا يصبح وقع الحب عليه ثقيلًا وعقبة أمام الفهم الواضح للمشاعر مقارنة بفكرة الجمال الذي يصبح وحيا فكريا عندما يتلامس مع العقل في النهاية، ويجعل الحياء جوهر الفضيلة كي لا يركب (عربة اللقطاء) التي تدعو للتفكير في معاناة من ولدوا من غير ذنب في عالم لا يرحمهم. و (الله أكبر) ليست مجرد نداء، بل إيقاظ القلب مهما كان غافلا من اللهب فكتير يمثله

عنوان (في اللهب ولا تحترق)، لأن الزينة لا تكمن في الشكل الخارجي فقط، بل في الروح الطاهرة التي تظل ثابتة في النهايات و (المشكلة) عدة مشاكل والذي يعجز عن التحكم في مشاعره يبقى عاجزا في تسيير حياته ولا يتجاوز مشكلاته الحقيقية.

هذه وقفات و توصيف وتراتبية متأنية، حاولنا فيها توضيح عناوين وحي القلم بين العلامات و المضامين والمفاتيح والمفاهيم. وللقراءة وجهات نظر، قد نكون أمسكنا بمعانيها وقد نكون جانبنا هذه المعاني، ولكن في الأخير تبقى وظائف ودلائل قصدها الكاتب أم لم يقصدها ولكنها وحي من وحي قلمه.

الخاتمة

يمكن الوصول في الأخير إلى أن العنوان عموما يتناغم ويتمازج مع مضامين الحكى في الخطاب القصصي عموما وفي خطابات مصطفى صادق الرافعي. ولعل ما يميزها أنها تشتغل على العلاقة الوجدانية التي تربط الكاتب بأثره الإبداعي فهو يحاول دائما أن يحمل عناوينه الرئيسية أو الفرعية، تلك الشحنات العاطفية والنفسية والدينية والاجتماعية والتي من شأنها بسط سلطتها على المتلقي واعتباره مضمونا للمضمون، وليس غطاء ساترا فقط بل إنه يعد أيقونة اللغة وسر الحكى ومن شروطه أن يكون قادرا على التأثير ولفت الانتباه من خلال صوره وأشكاله وحتى ألوانه، ومن أجل أن يكون أكثر فاعلية وجب عليه أن يربط علاقة بالأحداث والعناصر السردية، أو يحيل على الأقل إلى إيديولوجية النص أو يكون عاملا مساعدا في ولوجه، وهذا ما لمسناه في هذه المدونة من خلال دراستنا الدلالية والسيمائية فيها إذ وجدنا فيها لمسة جمالية بعيدة عن الاعتباطية، وتحمل وظيفة شعرية كونها تلخص المضمون أو تلمح إلى صورة من صوره.

وهكذا نجد العنوان عند الرافعي يحقق هدفه من خلال مرجعيته الوظيفية التي تحيل إلى مضامين النصوص وظلا مثيرا لشهية القراءة وفقا لمبدأ الغموض مخترقا الوظيفة التوجيهية إلى عالم يلج الثقافة والأخلاق والتدين، بهدف الانتقال من الواقع إلى الحياة السامية بالأخلاق والنيرة بالمبادئ الثابتة. وقد وصلنا إلى جملة من النتائج منها:

-الحكى عند الرافعي امتداد للواقع وإصلاح للمجتمع

-دغدغت قصصه مشاعرنا فغدت جزءا من حياتنا

-عتبات النصوص وعناوينها صارت مع المضمون عند الرافعي تشكل وجهين لعملة واحدة

-مشهدية العنوان عند الرافعي لهل تأثير شديد على شخوصه وعلى القارئ والمتلقي

-العناوين الفرعية مع العنوان الرئيس تتناغم في تشكيل الواقع دينيا واجتماعيا وروحيا

قائمة المراجع

- Gérard Genette. (1987). *Seuils*. France: Editions Du Seuil.
- الطيب بودريال. (2002). *قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام الغطرس*، ص 305. الجزائر: منشورات جامعة بسكرة.
- شادية شقرون. (2000). *سيمياء العنوان في مقام البرح لعبد الله العثني*. الجزائر: منشورات جامعة بسكرة.
- مصطفى صادق الراجعي. (2004). *وحي القلم*، ج1. بيروت، لبنان: المكتبة العصرية صيدا.
- ميشال بوتور. (1971). *بحوث في الرواية الجديدة*، ت فريد أنطونيوس. بيروت، لبنان: منشورات عويدات.